العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

جدلية العلاقة بين قصة العباسة ونهاية البرامكة (786-802م/170-187ه)

أ.م . د سرى ممتاز عبدالله
م. م هشام نزار
جامعة الموصل /كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

الملخص
أختلف المؤرخون، قدامى ومحدثين، في أسباب توتر العلاقة بين الخليفة الرشيد والأسرة البرمكية، ومنحى وتزمين هذا التغير، الذي أمتد لقرابة سبعة عشر عاماً، مؤشراً كثير الأخطاء التي ارتكبها البرامكة بفعل السلطة المطلقة التي منحها اياهم الخليفة، اشتملت مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية ، فضلاً عن الشخصية، التي عدها البعض سببا مباشراً لما، الت اليه نهايتهم ، وهو ما عرف بقصه العباسة، اخت الرشيد، التي أقترنت من جعفر البرمكي، وتقاطع المؤرخون والباحثون في قبولها ورفضها.
كلمات مفتاحية : جدلية العلاقة ، العباسة ، البرامكة

The dialectic of the relationship between the story of Al-Abbasa and the end of the Barmakids (786-802 AD/170-187 AH)

Assistant Professor Dr. Sari Mamtaz Abdullah
Assistant Professor Hisham Nizar
University of Mosul / College of Education for Humanities / Department of History

Abstract

Historians, both ancient and modern, differed on the reasons for the tension in the relationship between Caliph Al-Rashid and the Barmakids, and the trend and timing of this change, which lasted for nearly seventeen years, indicating many mistakes committed by the Barmakids due to the absolute authority granted to them by the Caliph, which included various political, economic and military levels, in addition to the personality, which some considered a direct cause of what led to their end, which is known as the story of Al-Abbasa, the sister of Al-Rashid, who married Jaafar Al-Barmakids, and historians and researchers agreed on accepting and rejecting it.

Keywords: dialectic of the relationship, Al-Abbasa, the Barmakids

- **الجذور التاريخية للعلاقة بين البرامكة والعباسيين.**

تشير الرواية التاريخية الى ان أتصال البرامكة بالعباسيين يرجع الى وقت مبكر من قيام دعوتهم وخلافتهم، اذ يذكر أن رب الأسرة، برمك كان على علاقه بمحمد بن علي العباسي تم بإبراهيم بن محمد[1]، دون تزمين ذلك، وهو من أوصى أبنه خالد بعوالاتهم اذا أظهروا حركتهم لانهم من آل بيت النبي (ص)[2]، فبدأت العلاقة بين خالد بن برمك ومحمد بن علي العباسي[3]، وأصبح من رحالات الدعوة العباسية في خراسان، وأحد نظراء النقباء[4].

ثم أصبح من قادة الثورة بعد إعلانها سنة ١٢٩هـ /742م، بقيادة ابو مسلم الخراساني، وشارك سنة 130هـ/743م بصحبة قحطبه بن شبيب الطائي بحرب والي خراسان الاموي نصر بن سيار في نيسابور [5]، وشارك معه في السيطرة على طوس [6]، وبعد إعلان الخلافة العباسية في الكوفة سنة ١٣٢هـ /٩٧٤٥م، قلده الخليفة ابو العباس/ ديواني الجند والخراج [7]، وبقي متولياً لها حتى سنة ١٢٥هـ/٧٤٨م

[8]، ثم أصبح كاتباً ووزيراً للخليفه بعد مقتل أبي سلمة الخلال (وزير آل محمد)، وإن لم يتسمى بالوزارة نظيراً لما أصاب سلفه [9]، ومن خلال ذلك توثقت علاقته بالخليفه [10].

وفي خلافة ابو جعفر (١٣٦- ١٥٨هـ/753-774م)، أقر خالد البرمكي على عمله، لسنه وشهور [11]ثم عزله وولاه على فارس [12]، فكان يقيم في طبرستان، ويخلف ابنه يحيى على مدينة الري [13]، وفي هذه المده، أرسل الخليفه ابو جعفر، ابنه محمد (المهدي) الى الري، فاستقبله يحيى البرمكي، وتوثقت العلاقات بينهما، لاسيما بعد ان ولد لمحمد ولد سماه هارون، وكان يحيى ولد اسمه الفضل، فترعرع الطفلان سويا [14]، وبعد عودة محمد المهدي الى بغداد، بقي خالد وابنه يحيى على أعمالهم لسنوات حتى أستدعاهم الخليفة أبو جعفر، لاتهامهم بالتلاعب بأحوال الدوله، والزمهم بتسديد ثلاثة ملايين درهم الى بيت المال [15]، وعلى الرغم من ذلك ولى خالد البرمكي، على الموصل سنة (١٥٨هـ / ٧٧٤م)، وعقد لابنه: يحيى على أذربيجان واستمرا عليها حتى وفاة الخليفة في نفس السنه [16].

وفي خلافة المهدي (١٥٨- ١69هـ/ ٧٧٤- ٧٨٥ م) عاد خالد وابنه - يحيى الى بغداد[17] ونظراً لطبيعة العلاقة بينهم وبين المهدي وزوجته الخيزران، فقد تعزز النفوذ البرمكي، لاسيما بعد أن عهد الخليفة الى خالد البرمكي بتربية ابنه هارون، وارسله برفقه خالد ويحيى في حمله عسكرية لغزو الروم سنة (163هـ/ 775م)، فتوثقت العلاقة بينهما [18]، وبقي يحير ملازماً لهارون حتى صار شاباً يافعاً [19]، وفي هذه السنه توفي خالد البرمكي [20].

وفي خلافة موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ/ ٧٨٥– 786م)، أقر يحيى البرمكي على تدبير أعمال هارون وكتابته [21]، إلا أن العلاقة توترت بينها بعد سعي الخليفة الى عزل أخيه هارون عن ولاية العهد، وتولية ابنه جعفر، وقد رضخ هارون[22] وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة، لهذا الأمر، فشل الخليفة الهادي من كسب يحيى الى جانبه[23]، فالقاه في السجن[24] إلا ان الخليفة توفي في ظروف غامضه سنة (١٧٠هـ/ ٧٨٦م)[25].

تولى هارون الرشيد الخلافة في نفس العام [26]، وكان من الطبيعي أن تأخذ سلطة البرامكة مداها، نظراً للدور الذي لعبه يحيى البرمكي في تسنمه الخلافة، ما جعل الخليفة الرشيد يفوضهم أمور الدولة، إذ خاطب يحيى البرمكي بقوله ((يا أبت انت أحلتني هذا المجلس ببركة رايك وحسن تدبيرك، وقد قلدتك أمور الرعية، وأخرجته من عنقي اليك، فأحكم بما ترى، واستعمل من شئت، وأسقط من رأيت، فأني غير ناظر معك في شيء))[27]، واستناداً لهذه السلطة المطلقة، قلده سنة 171هـ/ 787م، الوزارة وديوان الخاتم، فاجتمعت له الوزارتان[28]، وأطلقت يده في التولية والعزل، والعطاء والحرمان، لا يشاركه في ذلك أحد، حتى لقب بالأمير[29].

اما الفضل بن يحيى الذي تربى مع هارون [30]، فقد شارك أباه بالوزارة، وسمي بالوزير الصغير[31]، وعهد له الخليفة بتربية ابنه محمد (الأمين)، وولاة المشرق سنة ١٧٦هـ/792م[32]، واليه ينسب بتشكيل جيش من أهل خراسان، سماهم بالعباسية، يدينون له بالولاء [33]، وكان هذا سبباً لأن يعزله الرشيد سنة ١٨٣هـ / ٧٩٩م[34].

اما جعفر بن يحيى، فقد كان ملازماً للرشيد إذا ان غلب عليه ((غلبة شديدة، حتى صار لا يقدم عليه أحد))[35]، وعلى الرغم من ان الخليفة عهد اليه بولاية المغرب سنة ١٧٥ه/٧٩٥م[36]، ثم ولاه مصر [37]، كما عهد اليه بولاية خراسان وسجستان، خلفاً لأخيه الفضل[38]، إلا أنه لم يباشر عمله، با بل يرسل نائباً عنه، حرصاً منه على عدم مفارقته للخليفة[39].

وكان الرشيد يكلفه بمهمات خاصه، اذ ارسله سنة ١٨٠هـ/796م، للقضاء على الفتنه القبلية في الشام[40]، وولاة البريد ودور الضرب والطراز والمظالم[41].

اما موسى بن يحيى، فكان له دور محدود، از يذكر ان الخليفة، قد عهد اليه بإخماد الفتنة القبلية في الشام[42].

من خلال ذلك يتبين سيطرة الأسرة البرمكية على مفاصل الدولة والخلافة، دون منازع او منافس، من خلال تقريب واصطناع الموالين، ومحاربة وابداع الشخصيات المناوئة لهم.

نفوذ البرامكة

منح الخليفة الرشيد في مستهل خلافته، صلاحيات مطلقه للبرامكة في إدارة الدولة، وأطلق يدهم في تقرير سياستها على مختلف الصعد، لاسيما في حياة والدته الخيزران التي كانت هي الناظرة في الأمور[43]، اذ احتكروا المناصب، فيحيى البرمكي في يده (الوزارتين)، الدواوين والخاتم، وسمي الفضل بالوزير الصغير، وتصرف جعفر البرمكي وكانه الخليفة[44] فزاد نفوذهم، وتكاثر أعوانهم، وتزاحم الناس على ابوابهم[45]، ما اتاح لهم تقرير مصير الخليفة نفسه [46] بعد أن سيطروا على مالية الدولة، وجازوها لأنفسهم واتباعهم، حتى ان الخليفة الرشيد كان يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه[47]، وقد غالوا في إنفاق الأحوال في بناء كيانهم وترسيخ وجودهم، من خلال اصطناع الاحزاب وكتب الناس[48] من خلال المبالغة في الهبات والجوائز[49] فامتدحهم الشعراء وخلدوا عطاياهم وكرمهم[50].

ولتخليد ذكرهم وسيرهم أصطنع البرامكة الكثير من الكتاب والمؤرخين، اذ أوصى يحيى البرمكي اولاده بقوله ((لا بد لكم من كتاب وعمال وأعوان، فاستعينوا بالأشراف، واياكم وسفلة الناس، فأن النعمة في الأشراف أبقى، وهي بهم أحسن، والمعروف عندهم اشرف، والشرف فيهم اكثر))[51]، وكان المعيار في اصطناع هؤلاء هو الموالاة لهم[52]، فصنفت هذه الفئات الكثير من الكتب، استهدفت إعلاء سيرة البرامكة وكرمهم وسياستهم[53].

نهاية نفوذ البرامكة:

ذهب البعض من المؤرخين والباحثين ان تحول موقف الخليفة الرشيد من البرامكة وتقرير نهايتهم، مثل حدثاً مفاجئاً أحكمته مزاجية الخليفة وتقلب عاطفته، لاسيما تأثره بقصة العباس، متجاهلين الوقائع والسوابق التي تقران نهايتهم تم الاعداد التدريجي لها منذ وقت مبكر.

وعلى الرغم من أن الاعتماد الكلي على المصادر التاريخية لا يؤدي بالوصول الى الحقيقة المجردة ، وذلك الاختلاف ولاءاتها ومواقفها بين محب وكاره ، وموالي ومعارض، إلا ان الوقائع التاريخية تؤشر منحى التغير في علاقة الرشيد بالبرامكة.

تتفق الروايات على ان الخليفة الرشيد قد فوض صلاحياته وسلطته للبرامكة في مستهل خلافته، إلا ان هذه السلطة المفوضة لم تمنحهم حرية التصرف، وان يكونوا بمنأى عن مراقبة الخليفة والتيار المناوئ، اذ ((كانت الخيزران هي الناظرة في الأمور، وكان يحيى يعرض عليها ويصدر عن رأيها))[54] يؤكد ذلك الجهشياري[55] بقوله ((وقام يحيى بالأمور، وكان يعرض على الخيزران ويورد ويصدر عن أمرها))، إلا أن الخليفة لم يكن بغافل عن مجريات الأمور في عاصمته وأصقاع الدولة الأخرى.

ولأن الخليفة الرشيد لم يفصح عن السبب الذي أدى به لتقرير نهاية البرامكة[56] ما جعل الرواة موالون ومعارضون يذهبون في تبرير ذلك كل مذهب اذ أشار المسعودي[57] الى ذلك بقوله ((وأختلف في سببه ذلك))، ويقرر اليعقوبي[58] بأن ا((أكثر الناس في اسباب السخط عليهم مختلفين))، وإلى ذلك ذهب الطبري[59] عن سبب قتل جعفر البرمكي بقوله أن ((سبب غضبه عليه الذي قتله عنده، فأنه مختلف فيه)) وسلم المؤرخون المتأخرون، بأختلاف الناس في ذلك اختلافا كثيراً[60].

أن كثير المؤشرات تقر بأن الخليفة الرشيد، ومنذ مستهل خلافته، كان يرقب سلطتهم ونفوذهم وتفردهم بأمور الدولة دونه، وأيا كان السبب، فهو أمر لا تحتمله الملوك[61]، لكنه لم يتعجل وضع حد لذلك، ادراكاً منه لتمكنهم من الهيمنة على مفاصل الدولة من خلال أصطناع الموالين والأنصار من مختلف الفئات بما أغدقوه عليهم من المناصب والأمتيازات والاحوال، فضلاً عن دعم ومساندة أمه الخيزران لهم، إلا أن ذلك لم يمنعه من التعبير عن تذمره وموقفه الرافض لخاصته، اذ أسر طبيب جبرائيل عندما رأى ما بلغه يحيى البرمكي من نفوذ، وتزاحم الناس على بابه طمعاً في عطاياه بقوله ((فعل الله به وفعل، يذمه ويسبه، أستبد بالأمور دوني، وأمضاها على غير رأيي، وعمل بما أحبه دون محبتي))[62]، بما يؤشر حالة عدم الرضا على ما آل اليه، اذ((انهم غلبوا الرشيد على أمره، وشاركوه في سلطانه، ولم يكن معهم تصرف في شؤون ملكه))[63]، لذلك سيطر عليه هاجس الخوف من تعاظم نفوذهم بعد أن ((رأى ... انس النعمة بهم، وكثرة حمد الناس لهم، وأمانهم فيهم، ونظرهم اليهم دونه))[64]، وذلك من خلال

تصرفهم غير المسؤول بأموال الدولة، وأغداق الأموال على الفئات النافذة، مستهدفين كسب ولائها، بما أدى إلى أقبال الناس عليهم، وكثرة أتباعهم وأشياعهم[65] ((فعظمت الدالة منهم، وانبسط الجاه عندهم، وانصرفت نحوهم الوجوه، وخضعت لهم الرقاب))[66].

فضلاً عن ذلك ، فقد أستحوذ البرامكة على موارد الدولة، وحجبوا الاموال عن الرشيد، ما أثار صنعه ونقمته عليهم، تمثل ذلك بقوله ((قد نهبوا مالي وذهبوا خزائني[67]، في وقت كان الخليفة يطلب القليل من المال فلا يجده[68]، في حين بالغ البرامكة في أمتلاك الضياع والقصور، وقد أستشعر الرشيد مغبة ذلك بقوله ((أغنياهم وافقرنا أولادنا، ولم يكن لأحد من أولادنا ضيعة من ضياع البرامكة[69] في وقت كانوا يعنون على الرشيد، اذ أجاب جعفر البرمكي عندما حذروه من المبالغة في الانفاق ((أن الرشيد اعجز من أن يقوم بما يسمى البناء وانه ما اكل الخبز إلا بنا، وان دولته لم تتم إلا على اكتافنا))[70].

كل هذه المؤشرات كانت كافيه لأقناع الرشيد بأن البرامكة يسعون للتفرد بالسلطة، بعد أن ((عمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم، واحتازوها من سواهم، من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم))[71]، ولم يعد للخليفة من سلطان أو تصرف في شؤون ملكه[72].

وعلى الرغم من كل ذلك، كان الرشيد يدرك تداعيات القضاء، بعد أن أسسوا لكيانهم وركزوا وجودهم وكسبوا الى جانبهم قلوب الناس واموال، فاصطنعوا ما أغدقوه عليهم من أمتيازات الأحزاب والحكام[73]، لذلك سلك السبل التدريجية في تحجيم نفوذهم، وكانت وفاة والدته الخيزران سنة ١٧٣هـ / ٧٨٩م تاريخاً فارقاً في العلاقة، لما كان لها من دور في دعمهم وحمايتهم[74]، فأبتدأ بتقريب الشخصيات المناهضة لهم، اذ ولى الفضل بن الربيع على ديوان الأنفاق العام والخاص، ثم أصبح حاجبه وصاحب خاتمة[75]، وجرد جعفر البرمكي من قيادة حرس الخليفة، وعهده الى هرثمة بن اعين[76]، وبدأ الرشيد يمهد للقضاء على البرامكة، اذ ذكر أسحق بن على بن عبد الله بن العباس، ان الرشيد بدأت شكوكه بالبرامكة منذ وقت مبكر، وأخذ قراره وتم ذلك بعد ست سنوات من تاريخ ذلك اليوم[77] والى ذلك أشار أسماعيل بن صبيح الكاتب، بأن الرشيد أسره بأنه عازم على أن يوقع بال برمك ((إيقاعاً ما أوقعته بأحد، وأجعلهم أحدوثة، ونكالاً الى الابد))[78]، واكد مسرور الخادم هذه النوايا بقوله، ان الرشيد كان يفكر بقتل جعفر بن يحيى قبل خمس أو ست سنوات من قتله[79].

اذا ما صحت هذه الروايات، وانها حقيقة وليست تبريراً تؤثر ان الخليفة، وبعد أن تحرر من سطوة والدته الخيزران بدأ يخطط للنهاية، بشكل تدريجي خشية التداعيات، لاسيما وان البرامكة قد أسسوا لهم سلطة ونفوذ سياسي وعسكري من الممكن أن يجهض اي فعل مضاد تجاههم، اذ ذكر الطبري [80] أن الفضل بن يحيى، سعى خلال ولايته على المشرق الى تأسيس جيش كبير، سماهم العباسية، ودون أسمائهم في سجلات خاصة، وأجرى عليهم الارزاق، وجعل ولاؤهم له، فلما استدعاه الخليفة، قدم الى بغداد بصحبة عشرين الفاً منهم، سموا في بغداد بالكرمينيه، وترك الباقي في خراسان، مخلفاً على الباقى أخوه موسى بن يحيى، الذي وصف بالفارس الشجاع، وانه يفعل ما لا يجد[81]، وفي بغداد أختار جعفر البرمكي، الفاً من هؤلاء الجند، وزعهم حول قصور الخليفة في الكرخ[82]، فأدرك الرشيد الخطر وان الهدف من ذلك تطويقه في عقر داره، فتعجل سنة ١٧٩هـ/795م، بعزل الفضل بن يحيى عن خراسان وعين بدلاً عنه، علي بن عيسى بن ماهان[83] الذي ابتدأ ولايته بحل جيش العباسية وقطع ارزاقهم، ولاحق أنصارهم[84]، واوعز الرشيد الى السندي بن شاهك بأن يجلد الفضل بن يحيى، قائلاً ((أيها الناس أن الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي، فرأيت ان العنه فالعنوه))[85]، وأمر بحبس موسى بن يحيى بعد أن أبلغه علي بن عيسى، بأنه كان يحرض عليه أهل خراسان[86].

اما موقف الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي، فقد تعززت شكوكه بنوايا، لاسيما بعد أن أفرج عن الثائر العلوي، في منطقة الديلم، يحيى بن عبد الله[87]، وعند مقابلته وإقراره بالافراج عنه، قال الخليفة ((قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة ان لم أقتلك))[88]، وعن ابو محمد البريدي، وهو أعلم الناس بأخبار البرامكة قال ((من قال أن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله بن حسن فلا تصدقه))[89].

أدرك البرامكة أن تغيراً فارقاً وملحوظاً أخذ يتنافى في مواقف الرشيد منهم، وتبلور تكتل معارض لسلطتهم ونفوذهم، تتزعمه مجموعة من الشخصيات من ولاة وقادة، تتقدمهم زوجة الخليفة زبيدة، يدفع

بالرشيد الى اتخاذ موقف حازم[90]، لذلك تعجلوا العمل على خلع الرشيد، وتولية الخلافة بشخصية عباسية موالية، لذلك فاتح جعفر البرمكي، عبد الملك بن علي العباسي، وهو من ابرز وجوه الاسرة العباسية[91] وبدأ تأهيله من خلال الاتصال بشيوخ القبائل في الشام والجزيرة تحقيقاً للدعم[92]، إلا ان كشف المؤامرة تجلت بنهاية البرامكة، اذ كانت ردة فعل الخليفة قاسية، بما لا يسمح بالصفح عنهم، معبراً عن ذلك بقوله ((لو وثقت بصفاء نيتهم لأعدتهم الى حالهم، ولكنهم قوم كفروا النعمة، وارادوا الشر لي، ومن اراد ذلك فلا غفران له))[93]، فمثل هذا الحدث نهاية المطاف لأخطاء البرامكة، وقرر نهايتهم، أذ ذكر الطبري[94]، ((ولم تزل حالهم سهله حتى قبض الرشيد على عبد الملك بن صالح، فعمهم بخطه، وجدد لهم التهمة)).

لذلك لم يتأخر الرشيد في اتخاذ القرار، أذ بعد عودته من الحج سنة ١٨٦هـ/8002م، اوعز للمقربين بالتهيؤ للإيقاع بالبرامكة[95]، فشهدت سنة ١٨٧هـ/903م، قتل جعفر البرمكي، وزج ابوه يحيى وأخوه الفضل في السجن[96].

إن هذا الاستعراض المتعجل يؤشر تراكمات من الأخطاء شخصت بحق البرامكة على المدى الزمني لسلطتهم ونفوذهم أستمر قرابه سبعة عشر عاماً بما لا تحتمله نفوس الملوك.

- **جدلية العلاقة بين نهاية البرامكة والعباسة:**

درج البعض من الباحثين المحدثين، من خلال دراستهم لخلافة الرشيد وعلاقته بالأسرة البرمكية، الى التطرق لقصة العباس، أخت الرشيد، باعتبار قصتها سبباً مباشراً الزوال نفوذهم.

والعباسة، هي عليه بنت محمد المهدي بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، والدتها تدعى مكنونة، أحدى محظيات الخليفة المهدي، ولدت سنة ١٦٠ه/776م، في خلافة أبنها المهدي[97]، الذي شهد عهده انفتاحاً على مجمل الفئات الاجتماعية، متجاوزاً سياسة اليه (ابو جعفر المنصور) التي اعتمدت القوه والسلطة المطلقة بما أنعكس على مظاهر الحياة الاجتماعية، اذ تفشت في عهده مظاهر اللهو مؤشرة عن تطور روح العصر.

توفى والدها المهدي، وهي لم تنزل طفلة، فحظيت بأهتمام ورعاية أخوها غير الشقيق، هارون الرشيد، وترعرت في كنفه، متاثرة بمرحلة الانفتاح الذي أنعكس على البلاط، فوصفت بأنها إمراة فطنة بارعة، عرف عنها أهتمامها بأختيار أزيائها ووسائل زينتها وجمالها، واشتهرت بقول الشعر ومجالسة الأدباء[98].

تزوجت في حياتها من شخصيات من الأسرة العباسية اذ أقترنت بمحمد بن سليمان العباسي (والي البصرة) وتوفي عنها، فتزوجت بإبراهيم بن صالح الهاشمي (والي مصر)، وتوفي عنها[99]، ثم اقترنت بمحمد بن علي بن داؤود، وتوفى عنها بعد زمن حتى قال الشاعر أبو نواس على سبيل التندر ((من اراد الموت، فليتزوج من العباسة))[100].

وفي رواية غير موثقه ولا مزمنة، ذكر الطبري[101]، في سياق حديثه عن سبب مقتل جعفر البرمكي، ابن الخليفة الرشيد كان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته العباسة، وكان يحضرهما إلى مجلسه فقال لجعفر((أزوجكها ليحل لك النظر اليها اذا أحضرتها مجلس، وتقدم اليه أن لا يمسها))، إلا ان هذا الزواج الصوري، تحول الى زواج حقيقي في احداث دراماتيكية اسطورية، فحملت منه العباسة غلاماً، وخوفاً من أخيها، ارسلته مع حاضنته الحد مكة، إلا ان احدى الجواري أفشت السر للرشيد الذي تأكد من ذلك اثناء حجه، فكان ذلك سبباً في قتله لجعفر والتنكيل بعائلته.

واضح من الرواية خللاً بيناً في تركيبها الدرامي وبنائها القصصي الذي يثير الكثير من التساؤلات التي لا تصمد امامها الرواية، فالطبري وفق منهجه المعتمد، يورد كثير الروايات عن الحدث، دون التحقق من صحتها وسندها، فضلاً عن تجنبه إعطاء حكم فيها[102] بدليل انه يقر في حديثه عن سبب قتل جعفر البرمكي بقوله ((أن سبب غضبه عليه الذي قتله عنده، فأنه مختلف فيه))[103].

وبما انه لم يعاضد أحد من المؤرخين المعاصرين، امثال اليعقوبي[104]، والدينوري[105] والاصفهاني الطبري في هذه الرواية، وإن أختلفوا في الاسباب، إلا ان قصة العباسة، لم تكن أحدها، في حين يفندها الجهشياري[106] معتمدا على رواية مرور مسرورا الكبير، احد العارفين بخفايا البلاط، في رده على سائله عن سبب نهاية البرامكة بقوله ((كأنك تريد ما تقوله العامة عن أمر المرأة ... لا والله ما شن من هذا أصيل، ولكن من ملل موالينا وحسدهم))، وهذا يؤكد بانها رواية سربتها كثير الفئات الموالية للبرامكة

والتي تضررت مصالحهم بما آل عليه مصيرهم، فتداولتها العامة الجاهلة بالأهداف والنوايا، وسرت من خلالها للرواية التاريخية، مستهدفة التعتيم على الاسباب التي آلت بالبرامكة الى هذه النهاية، لاسيما وان البرامكة خلال مدة نفوذهم الطويلة، قد اصطنعوا الكثير من الأنصار والموالين من فئات سياسية واجتماعية متنوعة، خسروا بزوالهم ما كانوا ينعمون به من عطايا وصلات، حداً جعلهم يبكون على قبورهم[107].

أما المؤرخون المتأخرون الذين بحثوا في أسباب نهاية البرامكة، متحررين من الضغوط الانية للحدث من موالين ومعارضين، فقد فندوا قصة العباسة، بناءً ومحتوى، إذ أشار أبن خلدون[108]، الى ذلك بقوله ((هيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها وجلالها ...انها محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية ... قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين البعيدة عن عوائد الترف ومراتع الفواحش، فأين يطلب الصون والعفاف، اذا ذهب عنها، أو أين توجد الطهارة والذكاء اذا فقد عن بيتها))، وأنكر ابن كثير[109] الرواية من منطلق تناقضاتها واسطوريتها.

ولم يتقبل الباحثون المحدثون هذه القصة وفق المنهج النقدي في دراسة الرواية، اذ اعتبرها سورديل[110] حكاية شعبية وأسطورة خيالية، تفتقر للوثائق الثبوتية، اما فوزي[111] فأعتبرها نتيجة تمخضت عن الصدام السياسي بين الخليفة والبرامكة، وتناول جرجي زيدان[112] القصة في رواية درامية، طغى على أحداثها التشويق والخيال في حكاية أسطورية، لمقاصد مجهولة، على الرغم من انه تراجع عن كل ذلك، ليقرر أن الرشيد فتك بالبرامكة لانه خافهم على سلطانه.

أيا كانت الأغراض والمقاصد من ترويج هذه القصة، وبمنأى عن المعارضين والموالين، فأن الوقائع التاريخية تقر بأن نهاية البرامكة لم تكن حدثا مغاصئاً ولا تقلباً في مزاجية الخليفة ومواقفه، بل نتيجة لتراكمات من الأخطاء أقترفها البرامكة خلال مدة نفوذهم وسلطتهم، كان الخليفة يؤشرها، على الرغم من انه منحهم هذه السلطة المطلقة، إلا ان انفراد البرامكة بشؤون الحكم، وهيمنتهم على مجمل الحياة السياسية والادارية والاقتصادية، أشعرت الخليفة بأنه حبيس داره مجرداً من صلاحياته، فبدأ بتحجيم نفوذ بشكل تدريجي، لاسيما بعد وفاة والدته الخيزران، اي بعد سلطة مطلقة استمرت اربع سنوات، فبدا بتجريدهم من سلطتهم بدءاً من العاصمة انتهاء بأطراف الدولة، يعضده تيار مناوى للبرامكة ولما أستشعر خطر خطتهم في تطويقه ومن ثم خلعه بتعيين شخصية عباسية بديلة[113]، فتعجل قرار نهايتهم[114].

من خلال ذلك يمكن التاكيد بأن قصة زواج العباسة من جعفر البرمكي، وانها كانت سبباً لنهايتهم، لا أساس لها من الواقع، بل هي حكاية وفرية باطلة أختلقها الموالون للنيل من شخصية الرشيد، والتعتيم على الاسباب الحقيقية لنهايتهم، أسطرها البعض في روايات لا تقوى على النقد، وتثير كثير التساؤلات التي تجهض حقيقتها.

الخاتمة

أثبتت الوقائع التاريخية ان الخليفة هارون الرشيد، الذي فوض صلاحياته للأسرة البرمكية، التي انفردت بإدارة الدولة بصلاحيات مطلقة، لم تكن بمنأى عن مراقبة الخليفة ورصد تجاوزاتهم، ومراميهم، لذلك خطط منذ فتره مبكرة من خلافته بالحد من هذه السلطة، وبشكل تدريجي خشية التداعيات لترسيخ البرامكة نفوذهم، واصطناع الأعوان والموالين، فبدأ يجردهم من مها مهم ومناصبهم باحلال شخصيات مناوئة لهم، وبلغ الصراع غير المعلن مداه، بما دفع البرامكة الى التخطيط لخلع الخليفة الرشيد، واحلال شخصية عباسية بدلاً عنهم، فتعجل نهايتهم فكانت وقعاً اليماً لكل الفئات التي ارتبطت مصالحها بهم، فأختلقوا القصص والروايات التي أستهدفت النيل من الخليفة، من ذلك قصة زواج العباسة من جعفر البرمكي، وقد أثبتنا انها قرية أسطورية أشيعت بين العامة وتسربت الى الرواية التاريخية، تقبلها البعض وفندها آخرون، إلا ان تسلسل الوقائع أثبت بطلان هذه الحكاية، وانها إدعاء لا اساس له على صعيد الواقع.

فهرس المصادر والمراجع

أ. المصادر

- الأتليدي : محمد ذياب، (ت١١٠٠ هـ / 1688م)
1. اعلام الناس فيما وقع للبرامكة مع بني العباس: (القاهره، ١٣٦٧هـ)
- ابن الأثير: عزالدين أبي الحسن علي ابن ابي الكرم (ت ٥٦٧٠ /1222م).
2. الكامل في التاريخ، (بيروت، دار الكتاب العربي،١٩٨٠)
- الأصفهاني: علي بن الحسين بن محمد (٢٥٦ هـ/666م)
3. مقاتل الطالبين، تحقيق أحمد صقر، (بيروت، دار المعرفه، د.ت).
- أبن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت ٥٨٧٤/1469م)
4. النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، د.ت).
- الثعالبي: ابو منصور عبد الملك بن اسماعيل (٤٢٩ هـ/1037م).
5. الطائف المعارف، تحقيق ابراهيم الابياري (القاهرة، دار أحياء الكتب، ١٩٦٠).
- الجاحظ: عمرو بن بحر (ت ٢٠٥ه/868 م).
6. البخلاء، تحقيق طه الحاجري، (القاهرة، دار المعارف، د.ت).
7. التاج في أخلاق الملوك، تحقيق فوزي عطوي (بيروت، الشركة اللبنانية).
- الجهشياري: محمد بن عبدوس (ت 331هـ /942م).
8. الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (القاهرة، مطبعة مصطفى البابي،1938).
- الخطيب البغدادي: ابوبكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ /١٠٧٠م).
9. تاريخ بغداد او مدينة السلام (بيروت، دار الكتاب، د.ت).
- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت808ه/ 1405م)
10. تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر. (بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧١)
- ابن خلكان: احمد بن محمد بن ابي بكر (ت681ه /1282م).
11. وفيات الأعيان وابناء ابناء الزمان، (بيروت، دار الثقافة، د.ت)
- الدميري: كمال الدين (٨٠٨ هـ / 1405م).
12. حياة الحيوان الكبرى (القاهرة، المكتبة التجارية، ١٩٦٢).
- الدينوري: احمد بن داؤد (ت ٢٨٢ه/895 م).
13. الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر(القاهرة، دار أحياء الكتب، ١٩٦٠).
- الزبيدي: محمد مرتضى (ت ١١٤٥ ه/ 1732م)
14. تاج العروس (بيروت، دار صادر، 1966).
- السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م).
15. تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين (القاهرة، مطبعة السعادة، 1952).
- الطبري: محمد بن جرير (310ه / 922م).
16. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل (بيروت، دار سويدان، د.ت).
- ابن الطقطقا: محمد بن علي (٧٠٩ هـ/ 1206م).
17. الفخري في الآداب السلطانية (بيروت، دار صادر، ١٩٦٦.
- ابن عبد ربه: احمد بن محمد (ت 328ه/939م)
18. العقد الفريد (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٦٥)
- ابن العبري: غريغوريوس المعطي (ت٦٨٥ ه/ 1286م).
19. تاريخ مختصر الدول (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1958م)

- ابن عساكر: علي بن الحسين (ت 571ه/1175م).
20. التاريخ الكبير (بيروت، روضة الشام، 1332م).
- ابن العماد: ابو الفلاح عبد الحي بن احمد (ت 1089ه/ 1678م).
21. شفرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصطفى
- عبد القادر (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧١).
22. ابو الفدا: عماد الدين اسماعيل بن علي (ت 732ه/ 1331م)
- المختصر في أخبار البشر، (القاهرة، المطبعة الحسينيه،د.ت).
- ابن الفقيه: احمد بن ابراهيم الهمداني (ت ٢٨٩ هـ/901م)
23. مختصر كتاب البلدان،(لندن، مطبعة بريل، 1302هـ).
- القالي: اسماعيل بن القاسم البغدادي (ت 256ه/ 966م).
24. ذيل الأمالي (بيروت،دار الفكر، د.ت).
- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (276ه/889م).
25. عيون الأخبار (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٣)
- القرماني: أحمد بن يوسف (1019هـ/ ١٦١٠م)
- مجهول، المؤلف.
26. العيون والحدائق في أخبار الحقائق(ليدن، مطبعة بريل1871م).
- مجهول المؤلف(من القرن الثالث الهجري)
27. أخبار الدولة العباسية، وفيه أخبار العباس وولده تحقيق عبد العزيز الدوري وعبد الجبار المطلبي، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧١).
- المسعودي: علي بن الحسين (ت 346ه/ 957م).
28. مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
- ابن المعتز: عبد الله بن المعتز (٢٩٦هـ/ 908م).
29. طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٦).
- اليافعي: عبد الله بن أسعد (ت 768ه/ 1366م).
30. مرآة الجنان وعبرة اليقظان (الهند، مطبعة المعارف العثمانية، 1339ه).
- اليعقوبي: أحمد بن ابي يعقوب (ت289ه/897م)
31. تاريخ اليعقوبي، تعليق السيد محمد صادق(النجف، المكتبة الحيدريه، ١٩٧3).

ب. المراجع :

- الجومرد: عبد الجبار
32. هارون الرشيد، (بيروت، دار الكتب،1956).
- الدوري: ابراهيم ياس خضير
33. قراءات في الشعوبية، مجلة آفاق عربية، العدد 31، بغداد، ١٩٨٢).
- العباس: عبد الحليم
34. البرامكة في بلاط الرشيد (القاهرة، مطبعة الجريدة، ١٩٤٧).
- فوزي: فاروق عمر
35. سقوط البرامكة، مجلة آفاق عربية، السنة السابعة ة(ايلول، ١٩٨١).

Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

فهرست الهوامش

(1) ابن عساكر: تاريخ ، 28/5.
(2) الزبيدي: تاج العروس، 109/7.
(3) ابن عساكر: تاريخ، 28/5.
(4) مجهول: أخبار الدعوة: 223/3؛ المسعودي: مروج 255/3.
(5) الدينوري: الأخبار، ٣٦٤؛ مجهول: العيون، 191/3.
(6) الطبري: تاريخ، 388/7.
(7) الجهشياري: الوزراء، ٠٨٩
(8) الطبري: تاريخ، 458/7 – ٤٦٧.
(9) المسعودي: التنبيه، ٣١٠، اليعقوبي: تاريخ: 99/3.
(10) الجهشياري: الوزراء، 99؛ ابن الطقطق: الفخري، 156.
(11) الجهشياري: الوزراء، ٩٩، ابن خلكان: وفيات، 332/1.
(12) الثعالبي: الطائف،٢٠.
(13) ابن الفقيه: البلدان، 314.
(14) الجهشياري: الوزراء، 1436.
(15) الطبري: تاريخ 54/8- 55.
(16) المصدر نفسه: 55/8-٥٦.
(17) المصدر نفسه ، ٨/٠٥٦
(18) المصدر نفسه ٨٠/١٤٦ الجهشياري : الوزراء / ١٥٠
(19) الطبري: تاريخ،56/8.
(20) الجهشياري: الوزراء، 150.
(21) المصدر نفسه : 169.
(22) المصدر نفسه، ١٦٩-١٧٠.
(23) المصدر نفسه، 170.
(24) اليعقوبي: تارخ، 149/3.
(25) الطبري: تاريخ، 206/8، 232.
(26) المصدر نفسه، ٨ / 212.
(27) المصدر نفسه، 233/8، المسعودي: مروج، 348/3.
(28) الطبري: تاريخ، 535/8؛ الجهشياري: الوزراء، ١٧٧.
(29) الجهشياري: الوزراء، ١٧٨ .
(30) ابن الطقطق: الفخري، ٢٠١ .
(31) المصدر نفسه، ٢٠٥.
(32) الطبري: تاريخ، 240/8؛ الجهشياري: الوزراء، 190.
(33) الطبري: تاريخ، 257/8.
(34) الجهشياري: الوزراء، 233.
(35) المصدر نفسه، ١٨٩.
(36) المصدر نفسه، ١١٠ .
(37) السيوطي: حسن المحاضرة، 591/1.
(38) الطبري: تاريخ، 266/8.
(39) الجهشياري: الوزراء، ١١٠.
(40) الطبري: تاريخ، 262/8
(41) الجهشياري: الوزراء، ٠٢١٤
(42) الظهري: تاريخ، 251/8-252.
(43) المصدر نفسه، 234/8.
(44) ابن الطقطق: الفخري، ٢٠٩ .
(45) الجهشياري: الوزراء ٠226
(46) ابن كثير: البدايه، 189/1.
(47) المسعودي: مروج، 377/3.
(48) الجهشياري: الوزراء، ٢٤٢.

(49) الخطيب البغدادي: تاريخ، 14/129-130.
(50) القالي: ذيل، ٩٩؛ ابن المعتز: طبقات، 45،55.
(51) الجهشياري، الوزراء، ١٧٩.
(52) الجاحظ: رسائل، 194/2.
(53) الدوري: قراءات، 31؛ العدوي: التاريخ، ١٨٨.
(54) الطبري: تاريخ، 234/8.
(55) الوزراء، 177.
(56) اليعقوبي: تاريخ، 164/3.
(57) مروج، 377/3.
(58) تاريخ، 164/3.
(59) تاريخ، 287/8.
(60) ينظر، ابو الفدا: المختصر، ٢ / ١٦؛ الدميري: حياة، 128/2؛ القرماني: أخيار، ١٥٠؛ ابن العبري، التاريخ، 125.
(61) ابن الطقطقا: الفخري، ٢٠٩.
(62) الجهشياري: الوزراء، 226.
(63) ابن خلدون: المقدمة،16.
(64) اليافعي: مرآة، 140/1.
(65) ابن العماد: شذرات، 212/1.
(66) ابن خلدون: المقدمة، 16.
(67) الجهشياري: الوزراء، 242.
(68) المسعودي: مروج، 377/3.
(69) الاتليدي: اعلام الناس، 130.
(70) المصدر نفسه، 131.
(71) ابن خلدون: المقدمة، 16.
(72) المصدر نفسه، 16.
(73) الجهشياري: الوزراء، 242؛ الطبري: تاريخ، 8/258-259؛ الخطيب البغدادي: تاريخ 14/129-130.
(74) الجهشياري: الوزراء، ١٧٧، الطبري: تاريخ، 234/8.
(75) الطبري: تاريخ، 238/8.
(76) ابن خلكان: وفيات، 37/4.
(77) ابن عبدربه: العقد، 66/5.
(78) اليعقوبي: تاريخ، 3/ ١٦٤ – ١٦٥.
(79) الجاحظ: التاج، 73-74.
(80) تاريخ، 257/8.
(81) الحافظ: البخلاء، 344.
(82) الطبرى: تاريخ، 266/8.
(83) الجهشياري: الوزراء، 228
(84) المصدر نفسه، 228.
(85)الأصفهاني: مقاتل، ٥٠٣-٥٠٤.
(86) ابن الأثير: الكامل، 115/5.
(87) ابن خلدون: المقدمة، 16.
(88) الطبري: تاريخ، 289/8.
(89) المصدر نفسه: 289/8.
(90) ينظر، ابن خلكان: وفيات، 37/4، ابن الطقطقا: الفخري، 201.
(91) اليعقوبي: تاريخ، 166/3.
(92) المصدر نفسه،166/3.
(93) ابن خلكان: وفيات، 6/228.
(94) تاريخ، 297/8.
(95) الطبري: تاريخ، 293/8.
(96) المصدر نفسه، 287/8.
(97) الجاحظ: التاج، 34-35.

(98) عبد الرؤف: الحواضر الاسلاميه، 247.
(99) ابن قتيبة: المعارف، 380.
(100) العباس: البرامكة، ١٠٦؛ الجومرد: هارون الرشيد، 465/2.
(101) تاريخ، 294/8.
(102) عبد القادر: منهجية الكتابة عند الطبري، ص 4-6.
(103) الطبري: تاريخ، 287/8.
(104) تاريخ، 164/3.
(105) الأخبار، 366.
(106) الوزراء، 254.
(107) الأصفهاني: الاغاني، 32/17.
(108) المقدمة، ١٠.
(109) فوزي: سقوط البرامكة، ٤٣.
(110) البداية، 18/10.
(111) سقوط البرامكة، 43.
(112) العباسة أخت الرشيد القاهرة، الموسسة هنداوي ، 2012.
(113) اليعقوبي: تاريخ، 122/2.
(114) المصدر نفسه، 122/2.